ويدهشك ايضا انك مستعد دائما للاجابة عن تهمة لا تعرفها . واذا لم يتهمك احد بادرت الى اتهام نفسك .

ـــ ماذا فعلت من اجل اي شيء ؟

ـــ ماذا بوسعك ان تفعل من أجل اي شيء ؟.

تصعد ، يوم السبت ، الى الجبل ولا تدرك الفجر ابـــدا . تدهشك العلاقة النادرة بين الشمس والسجون . هذه الشمس ـــ متى رأيت ولادتها لاول مرة ! لا تكذب ولا تقل انك بحثت عنها في نزهة أو معركة . أيقظوك في ساعة مبكرة ووضعوا زنديك في حديد جديد، وأخرجوك الى ساحة السجن . وهناك شاهدت ولادة الشمس لاول مرة . لا تكذب ولا تقل انها لم تكن جميلة ، وانك لم تشعر بالحياء .

تصعد ، يوم السبت ، الى الجبل . لا ليس هذا جبلا ، فالكرمل مئذنة الله . تطل منها اشجار تغطي مدافع مضادة للطائرات والجمال . لو وقف هنا مؤذن وهمس : حي على الصلاة ، لامتلأت مساجد دمشق بالمصلين . ويمر عنـــك العشاق والجنود « هل كان البيت ، والقرية ، والحياة التي نخلقها هنا .. هل كانت عزيزة وحقيقية وعادلة الى هذا الحد قبل الان » ـــ هكذا يقولون بعد الحرب والانتصار . وهكذا تقول أنت أيضا بعد الحرب والهزيمة . ويقولون : « مع كل خطوة على هذه الطبيعة تتراجع الظلال وتحتلك الخضرة والامل » . وهكذا تقول : « مع كل خطوة على هذه الطبيعة يسقط قلبي وتحتلني الخضرة والامل والغزاة » .

ويلقون عليك القبض وانت ترتكب الحلم .

ـــ ماذا كنت ستفعل لو انتصرتم في الحرب .

تجيبهم : أصعد الى الجبل . أختار أية صنوبرة . أجلس . أمد قدمي في البحر الابيض المتوسط . اضع يدي على شعر السماء . وأتابع الحلم كما افعل الان تماما .

ـــ ما هكذا يفعل المنتصرون .

ـــ لم انتصر مرة واحدة في حياتي لاعرف كيف يسلك المنتصرون .

وتشعر انك لم تعد مواطنا . تاريخك أحلام تتمزق كأوراق الجرائد . وكل حلم فجيعة . ماذا تنفعك اليرموك والقادسية والمعارك السابقة ؟. ولماذا أنت لماذا أنت ! جميل هو الكرمل .. وقريبة هي السماء ، والنصر بعيد . ومـــاذا فعلت من أجـــل اي شيء ؟ لا شيء . تجد نفسك خارج الحرب وخارج الانتصار وخارج الهزيمة وخارج انسانيتك . هكذا تصبح شجرة أو حجرا أو أي شيء في الطبيعة !.